

الحق في الإبادة الجماعية

أو: لماذا لا تتماشى الديمقراطية مع الاستعمار

ذلك هو التعابير الطنانة المبتذلة؛ الإرهاب والإسلاموية. هنا يتعمد تجاهل فوز حماس الساحق، خصوصاً في غزة، في انتخابات ديموقراطية عام ٢٠٠٦- بقدر ما يمكن إجراءها تحت ظل الاحتلال. لكن الانتخابات بالنسبة للغرب وإسرائيل بالطبع تكون نافذة فقط إذا منحت الشرعية لقوى مذعنة.

لقد فقد مفهوم "الإرهاب" على كل حال مع "الحرب على الإرهاب" الأمريكية كل مغزى فيما يتعلق بالعمليات العسكرية ضد المدنيين - وهو المعنى الأصلي. فالإرهابيون هم كل من يقف ضد النظام الرأسمالي العالمي المتمركز حول الولايات المتحدة، أما من يعذب ويقصف ويقتل المدنيين من أجل هذا النظام فهو مقاتل من أجل الحرية، ولا مفر هنا من "الأضرار الجانبية" كما في غزة.

أليس الإسلام السياسي في حد ذاته غير ديموقراطي ومن القرون الوسطى ومعاد للمرأة.. إلخ؟ هذه المحاجة القائمة على دونية الخصم تقدم التبرير التاريخي للاستعمار وكل جرائمه. فلقد أخضع البريطانيون الهند من أجل حماية الأرامل من الحرق، والفرنسيون أفريقيا من أجل القضاء على أكل لحوم البشر والولايات المتحدة نشأت على أساس إبادة "الهنود الحمر" الهمج. ولقد كان على العالم أن "يتعافى" عن طريق "الشخصية الألمانية"، فيما خطا النازيون قدماً نحو إبادة دونيي البشر.

نشرت تايمز أوف إسرائيل قبل فترة قصيرة تعليقاً يحمل عنوان "عندما يسمح بالإبادة الجماعية"، وذلك مختصر لجوهر الصهيونية: فإسرائيل تدعي الحق بمحو الفلسطينيين كشعب، وعلى أساس بسيط: لا يستطيع الإسرائيليون بعكسه الحياة بهدوء. وتقوم وسائل الإعلام الغربية برعاية دور الضحية المعزوة للنفس هذا، والذي يشرعن كل جريمة باعتبارها دفاعاً عن النفس.

إن حقائق الهجوم الحالي على غزة تتحدث عن نفسها، حيث ترتكب إسرائيل على مدى أسابيع قليلة مجزرة بحق آلاف الفلسطينيين، غالبيتهم العظمى من المدنيين، فيما خسر الجيش الإسرائيلي بضع عشرات من الجنود. أما الضحايا من المدنيين الإسرائيليين فهو دون العشرة. وهذا مجمل القول عن اللاتناسب الكلي للحرب.

إن الخلفية المباشرة للنزاع هي الحصار المفروض على ما يقارب المليون فلسطيني في غزة، والذين تحاول إسرائيل إجبارهم على الخضوع عن طريق التجويع (والقنابل). وذلك أسوأ من حصارات القرون الوسطى، أي العقاب الجماعي لشعب بكامله بما يتنافى مع القانون الدولي. وكم تبدو كاذبة ومثيرة للسخرية هنا "القيم الغربية" المشدد عليها مراراً وتكراراً في الديمقراطية وحقوق الإنسان، والإنسانية، والتي ينتلها الغرب لنفسه ويفرضها على الآخرين بالقوة العسكرية وعلى الضد من حقوق الإنسان. وتبرير

وعن طريق "الرسالة الحضارية" بررت الرأسمالية العبودية وإبادة الشعوب على نطاق صناعي. وكما نشهد حتى اليوم "تصدير الديمقراطية" إلى العراق أو "حقوق المرأة" إلى أفغانستان.

لقد أمكن للإسلام السياسي وحماس على الخصوص أن يتطور في الشرق الأوسط إلى قوة حاسمة بسبب تعرض حركات التحرر اليسارية إلى هزائم تاريخية، وفشلها وتحولها مرات عديدة إلى زمر متعاونة مع النظام الحاكم. وأفضل مثل لهذا هو السلطة الفلسطينية التي تلعب دور الوكيل للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وإسرائيل في نهاية المطاف. ولهذا السبب أيضاً تتصب حماس نفسها لأنها تقف مع مواصلة الكفاح ضد الاحتلال.

وهنا نأتي إلى الجوهر التاريخي للنزاع: فإسرائيل مشروع استعماري أمريكي أوروبي ذو طبيعة غادرة خاصة. فمع التصفيات الجماعية لليهود الأوروبيين، والتي لم يكن للعرب دخل بها، كان تبرير الطرد المنهجي للفلسطينيين. ومن يضع حق الإبادة

الجماعية هذا موضع تساؤل فهو - بطبيعة الحال - معاد للسامية! يصاغ هذا بعقيدة "حق إسرائيل في الوجود"، والدفاع عن "الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"، ولكن للمستعمرين اليهود فقط. وليس صدفة أن يدعم الصهاينة بصورة منهجية الدكتاتوريات العربية، والطغمة المصرية على الخصوص ضد أية تطلعات ديموقراطية.

لم إذاً لا تقسم الأرض، ولم لا للتسوية؟ منذ ثلاثة عقود ومنظمة التحرير الوطني الفلسطيني تسعى لذلك بالتنازل عن الجزء الأعظم من الأرض والماء والموارد وغيرها، وكل ذلك عبثاً، لأن إسرائيل تريد كل شيء. لقد أثبت التاريخ أن حل الدولتين مع الصهيونية غير ممكن.

الحل الوحيد: إنهاء الاستعمار وانهاء الحق الحصري في فلسطين، ثم الديمقراطية للجميع وبضمنهم كل الفلسطينيين (ومعهم المهجرون وذرياتهم)، وليس فقط للأسياد المستعمرين بعد الآن، وعلى نموذج الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

من أجل دولة ديموقراطية مشتركة على أرض فلسطين كلها!

المعسكر المناهض للامبريالية

٢٠١٤ / ٨ / ٣



www.antiimperialista.org